لماذا نحن ؟

قضية الشر

نشرت لأول مرة فى :

الخليقة 26 (3) : 21 - 23

يونيو 2004

بقلم كين هام

كيف يسمح إله محب بهذا ؟ كُتبت كتب كثيرة لمحاولة تبرير ما يبدو على السطح أنه مشكلة يصعب التوفيق بين طرفيها : إدعاء المسيحية بوجود إله محب بالرغم من كل هذا الشر والموت والألم والأمراض فى العالم .

من الممكن أن نصيغ الحجة الموجهة ضد المسيحية هكذا :

> "كيف يوجد إله قدير ومحب بينما نرى أطفالاً تموت وناسًا تتألم وحوادث سيئة للغاية تحدث لأشخاص صالحين ؟ من المؤكد أن مثل هذه الآلام وهذه الشرور تعنى إما هذا الإله ليس قويًا بما يكفى لمنعها أو أنه لا يريد منعها لذا فهو ليس صالحًا كليًا"

فى الحقيقة يمثل الشر أزمة كبيرة لغير المسيحيين ـ ليس للمسيحيين المتمسكين بإيمانهم ـ لكن علينا أولاً أن نفهم مصدر الشر فى هذا العالم .

كنت أشاهد برنامجًا إخباريًا بالتليفزيون عن انتشار أنفلونزا الطيور فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى لقاء مع أسرة فقدت طفلها الصغير سألت أخت الصبى (10 سنوات) :
"لماذا نحن ؟ لماذا حدث هذا لنا نحن بالذات ؟"

تأثرت للغاية بقصة هذه العائلة الحزينة . ماذا كنت لأقول لهم إذا أتيحت لى الفرصة ؟ أذكر وفاة أخى الأصغر منى منذ عام مضى (انظر للصورة التالية) ومازلت حزينًا عليه لكن فى نفس الوقت إذا كنت تعرف أصل الموت فهذا له أهميته عندما تمر بمثل تلك الكارثة .

عندما تحدث حوادث مؤلمة للمؤمنين ..

توضح هذه الصورة حطام السيارة التى أصيب فيها د . "كارل ويلاند" عام 1986 بإصابات خطيرة . ظل حبيسًا بداخلها 5 ساعات ونصف بعد إصابته بارتجاج فى المخ . أجرى 56 عملية جراحية خلال 7 سنوات . كتاب "السير وسط الظلال" يحكى تفاصيل أزمته بالإضافة إلى تحليلات وتأملات رائعة له أثناءها لأن فهمه الصحيح لـ"الصورة الكاملة" للكتاب المقدس ساعده على اجتياز تلك الأزمة .

هذا الكتاب المميز الذى يتضمن رواية "كين هام" لخطوات تدهور مرض أخيه ساعد كثير من المؤمنين الذين يجدون صعوبة فى فهم أسباب آلامهم - أو آلام أحد أحبائهم .

آدم ، الإنسان الأول ، يمثل الجنس البشرى كله . عندما أخطأ (تمرد على الله بعصيان وصيته الواضحة) كان كمن يقول لله أنه يريد أن يحيا بدونه . أراد (وبالتالى نحن أيضًا أردنا) الاستقلال بذاته أو بمعنى آخر الاستقلال عن الله .

إذا أعطانا الله ما نطلبه فى آدم لما عشنا لأنه يحمل كل الأشياء بكلمة قدرته (كولوسى 1 : 15 - 17) . كان على الله البار أن يدين العصيان ، فأدان الخطية بالموت (الروحى والجسدى) ولعن الأرض لذا تئن وتتألم كل الخليقة الآن بسبب الخطية (تكوين 3 : 17 - 19 / رومية 8 : 20 - 22) .

من الواضح أن الله سحب بعضًا من قدرته الحاملة لكل الأشياء لذا لا يسير كل شىء بنفس الكمال كما كان الحال قبل السقوط . كل شىء الآن يئن ويميل إلى السقوط والانهيار . إننا نعيش حاليًا فى عالم حيث نتذوق فيه طعم الحياة بدون الله : موت وآلام وشرور ... إلخ .

لكن عندما يفهم الواحد منا سبب الموت والألم والشر فى هذا العالم (يفهم أصل هذه الأشياء كما ورد فى سفر التكوين) سيدرك أنها ليست غلطة الله بأن أصبح حال العالم على ما هو عليه بل غلطتنا نحن . كل إنسان يتألم بدون شك ، وكل إنسان سيموت جسديًا وليس فقط هذا الطفل . ما حدث له سيحدث لكل واحد منا (إلا إذا رجع الرب قبل هذا الوقت) .

هذا ساعدنى على إجابة سؤال سألنى إياه قس فى مؤتمر . سأل : كيف أرد على من يسألنى "كيف يعاقب الله المحب الناس بالذهاب إلى مكان مخيف مثل الجحيم؟" .

ناقشت معه أصل الخطية والموت (كما شرحتها بأعلى) ثم قلت : "أيها القس هل تدرك أن هذا السؤال يفترض أن ذهاب الناس إلى الجحيم هو غلطة الله ؟ عندما نفهم طبيعتنا فهمًا صحيحًا (نسل آدم) ونعرف قصة السقوط (مصدر الخطية والموت ـ عصيان الجنس البشرى) ساعتها سنفهم أن ذهاب الناس إلى الجحيم ليس غلطة الله فالإنسان كان له حرية الإرادة فى الجنة قبل الوقوع فى الخطية[1] .

"إننا (فى آدم) فصلنا أنفسنا عن الله حتى لو كانت هذه خطته منذ البدء . قلنا لله أننا لا نرغب فيه. الله إله بار لذا كان لابد أن يدين الخطية لكننا فى الواقع حكمنا على أنفسنا بالجحيم (انفصال أبدى عن الله) بأفعالنا . عندما حُبل بنا كان محكومًا علينا بالفعل كخطاة لأننا أبناء آدم . أما نعمة الله المخلصة خلصت المؤمنين من الجحيم الذى كنا نستحقه والذى كان محكومًا علينا به" .

ثم قلت "ومع ذلك لأن الله محبة وكلى القدرة فهو قد أعد وسيلة تنجينا من الجحيم ، دخل التاريخ البشرى ليصبح إنسانًا ليدفع عنا عقوبة خطيتنا . هزم الموت (بقيامته) ويهدينا عطية الخلاص المجانية . إلهنا المحب يقول لنا : "رغم أنكم لا تريدونى فأنا أريدكم ، أريد أن أخلصكم . سأدفع أجرة خطيتكم وأقدم لكم خلاصًا مجانيًا" .

يشرح السقوط ـ كما يقول سفر التكوين ـ أصل الشر والموت والألم الموجود فى العالم ويتيح لنا بأن نلقى اللوم على أنفسنا .

من الضرورى أن نفهم كيف يسمح إله محب وقدير بكل هذا الشر والألم والموت (مثل موت ذلك الطفل الصغير) فى العالم . لو كان الله قويًا بما يكفى للقضاء على الشر ولو كان يحب البشر فهل كان يسمح بذلك ؟

فى متى 19 : 16 - 17 نقرأ "وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحًا . ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" .

كان الرب يسوع يحاول أن يُفهم ذلك الشاب المعنى الذى يحتويه كلامه . ينبغى ألا نطلق صفة "الصلاح" إلا على كائن لا نهائى وصالح بدرجة لا نهائية .

الخاطى لا يعترف بوجود مثل ذلك الكائن وذلك يعنى أنه عندما يدعى أنه إله صالح ومحب وهناك شرور كثيرة فى هذا العالم فهذان أمران متناقضان لذا لا ينبغى أن يوصف بالصلاح . أى معيار ـ أى سلطة مطلقة ـ يستند عليه فى تحديد الخير من الشر ؟

إذا كان "الصلاح" هو ما يكسب الرضا الجماعى إذاً فهذا لا يعد إلا مجرد رأى . بدون وجود سلطة مطلقة لها الحق فى تحديد الخير والشر (الصواب والخطأ) يصبح "الخير" أمرًا نسبيًا . من يحدد تعريف "الخير" فى النهاية ؟

صرح اعتذارى مسيحى يُدعى"جريج بانسان" قائلاً : "من وجهة النظر الفلسفية تحولت قضية الشر إلى مشكلة للخاطىء نفسه . لذا عليه أولاً أن يبين أن آرائه عن الشر لها معنى منطقى (وهذا ما يعجز عنه رأيه الشرير) وذلك ليستخدم حجة الشر ضد الرأى المسيحى"[2] .

لذا فتعريف الإنسان الخاطىء للخير والشر تعريف غير موضوعى وبالتالى يصبح معياره الأخلاقى معيارًا نسبيًا . فكيف يستطيع إنسان مثل هذا الادعاء بأن وجود إله قدير ومحب يتعارض مع ما يحدده هذا الشخص بأنه شر فى هذا العالم ؟

قد يدعى الإنسان الخاطىء أن التناقض (وجود الشر مع وجود إله محب) موجود داخل الفكر المسيحى (حيث يكون الخير والشر حقيقيين) . لكن هناك إجابة عقلانية لهذه الفكرة .

يستكمل "بانسان" كلامه : "إذا افترض المسيحى أن الله كامل ـ كما تطلب منا كلمة الله أن نؤمن بذلك ـ فيجب أن يقيم كل شىء وفقًا لتجاربه الشخصية فى ضوء هذا الافتراض . وبالتالى عندما يلاحظ المسيحى الشرور المرتكبة حوله فى العالم فلابد أن يتمسك بافتراض أن الله صالح ويستنتج أسبابًا صالحة لوجود هذه الشرور .لابد أن الله كلى القدرة ليكون إلهًا لذا لا نظن أنه مقهور أو محرج من الشر . والله صالح بكل تأكيد كما يعلن المسيحى لذا فأى شر نجده لابد وأن يتوافق مع صلاح الله . هذا فقط لنقول أن الله خطط أحداثاً مؤسفة لتحقيق أهداف صالحة"[3] .

نتذكر هذا فى إشعياء 45 : 5 ـ 7 "أنا الرب وليس آخر . لا إله سواى . نطقتك وأنت لم تعرفنى. لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى . أنا الرب وليس آخر . مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر . أنا الرب صانع كل هذه ."

حادثة الصليب حادثة شريرة لكنها كانت لهدف نبيل أدبيًا وهو خلاص الإنسان . "هذا أخذتموه مسلمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى آثمة صلبتموه وقتلتموه . الذى أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسك منه" (أعمال الرسل 2 : 23 ـ 24) .

هناك أحداث كثيرة فى الكتاب المقدس نستطيع أن ننظر إليها الآن ونفهم أسباب حدوثها لكنها فى الوقت الذى تمت فيه لم يعقلها الإنسان الساقط لكن الله محب وقدير (رومية 8 : 28) .

آلام "أيوب" فى زمنه بدت غير متوافقة مع الله المحب (مثل موت ذلك الطفل الصغير) . لكن الله لم يذكر "أيوب" فقط بأنه إنسان زائل ولا يعرف كل شىء بل مدح إيمانه . وتعلم "أيوب" أن هناك الكثير وراء ما حدث له وأنه يحمل دروسًا ثمينة لملايين الناس عبر العصور . وصف الكتاب المقدس الموت وصفًا يليق به وهو "آخر عدو" (كورنثوس الأولى 15 : 26) .

لكننا نجد فى قصة السقوط بركة عظيمة للجنس البشرى لأن بدونها ما كان عرف الإنسان وسيلة للتصالح مع الله ولبقينا منفصلين عن الله إلى الأبد .

ها هى الخلاصة لكل هذه القضايا وليس قضية الشر فقط . هل نؤمن بكلمة الله القدير الذى يعرف كل شىء وكان موجودًا منذ الأزل ؟ أم نضع ثقتنا فى كلمات الإنسان الساقط الذى لا يعرف كل شىء ولم يكن موجودًا منذ الأزل ونقبل الآراء والقيم الإنسانية الغير موضوعية ؟

مراجع وملاحظات :

(١) "سى إس لويس" فى ***الطلاق العظيم*** قال أن الموجودين فى الجحيم سيظلون هناك وسيكون حالهم أسوأ فى محضر الله القدوس لأنهم غير تائبين . بينما قال آخرون أن درجة خطورة الخطية تعتمد على من تخطىء فى حقه . خطية ضد الله الغير محدود تستحق عقابًا غير محدود.

(٢) "بانسان" : ***دائمًا مستعد ـ إرشادات للدفاع عن الإيمان*** . دار شنر كوفنانت ميديا بريس، تكساس ، الولايات المتحدة 2002